إيصال السنة إلى الغربيين

... خبرة ميدانية

إعداد:

د. محمد بن مصطفى الجبالي

مؤلف ومدير "منشورات الكتاب والسنة"

محاضر متعاون في جامعة طيبة بالمدينة المنورة

الأستاذ المساعد سابقاً بجامعة أيوا الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية

دراسة مقدمة إلى:

الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها

ضمن ندوة:

ترجمة السنة والسيرة النبوية (الواقع، التطوير، المعوقات)

المحور الأول: **الأسس العلمية التي تقوم عليها الترجمة، والشروط التي يجب توافرها فيها**

الفرع الأول: **ترجمة السنة والسيرة، دراسة تأصيلية**

المنعقدة في:

الرياض، ٢٣-٢٥ صفر ١٤٢٩هـ (١-٣ مارس ٢٠٠٨م)

فهرس البحث

المحتويات **رقم الصفحة**



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هاديَ له. وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ۞﴾ [1]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً۞﴾ [2]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا۞﴾ [3]

أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد، فإن السنة هي الوحي المكمل للقرآن والحاكم عليه والمبين له. وهذا البيان هو بقول النبي الكريم وفعله وتقريره، وهو من أحوج ما تحتاجه الأمة، قاصيها ودانيها، وعربها وعجمها، لكي تتبصر في دينها وتعلم ما ينفعها في معاشها ومعادها. فكان لزاماً أن تنقل السنة بضبط ودقة وسلامة إلى اللغات الأعجمية لكي ينهل منها الأعاجم، فتقوم بذلك عليهم الحجة، وتقوم لهم الذريعة ليعبدوا الله تعالى على بصيرة وحسن اتباع.

تجدر الإشارة ههنا إلى أن أي مصنِّف لمادة شرعية بلغة غير العربية يحتاج أن يكون في الوقت ذاته مترجماً، لأنه لا يستغني في تصنيفه عن ترجمة عدد كبير من نصوص القرآن والسنة وأقوال السلف والعلماء.

كما يجدر بنا أن نشير إلى أن طبيعة هذا البحث تتطلب إيراد أمثلة واقعية في الترجمة، وبعض الأمثلة التي أوردناها تتعلق بنقد كتابات لأصدقاء وإخوة معروفين، وليس القصد من هذا النقد النيل منهم شخصياً أو انتقاصهم، وإنما هو للنصح وبيان الحق والتواصي به، تطلعاً إلى أن ترتقي ترجمة دعاة السنة إلى مكانة مرموقة نسعد بها جميعاً.

وقد أذن الله ويسر لهذا الباحث أن قضى سنوات مديدة في بلاد الغرب، فكان من الساعين إلى نشر السنة النبوية بلغة أهلها، وذلك عن طريق ندوات ومحاضرات وكتب ومقالات عديدة، نسأل الله تعالى الإخلاص والقبول. وذاك العمل قد أكسبه خبرة في مجال ترجمة السنة، وهذا البحث يقوم بعرض بعض تلك الخبرة التي توصل إليها، والله الموفق.

---

[1] آل عمران ١٠٢.

[2] النساء ١.

[3] الأحزاب ٧٠-٧١.

المبحث الأول: الإخلاص لله

المطلب الأول: أهمية الإخلاص في ترجمة السنة

إن الترجمة الشرعية هي من التواصي بالحق الذي أمَرَنا به الله ﷻ في قوله:

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلاَّ ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝﴾ [٤]

وهي من النذارة التي أمر الله ﷻ بها في قوله:

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلّ فِرْقَةٍ مّنْهُمْ طَائِفَةٌ لّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۝﴾ [٥]

ولذا، فإن هذه الترجمة هي – بلا ريب – عمل تعبدي يستوجب إخلاص النية لله كغيره من العبادات.

عن أمير المؤمنينَ عُمرَ بنِ الخطاب ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قالَ: « إنّما الأعمالُ بالنِّياتِ، وإنَّما لِكُلِّ امرئٍ ما نوى » [٦]

وعن أبي أمامةَ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قالَ: « إنّ الله ﷻ لا يقبلُ مِنَ العَمَلِ إلاّ ما كانَ له خالِصاً وابْتُغِيَ بهِ وَجْهُه » [٧]

وعن أبي هريرةَ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قالَ: « قال الله ﷻ: " أنا أغنى الشُّركاءِ عن الشركِ، فَمَن عَمِلَ لي عَمَلاً أَشركَ فيهِ غَيري فأنا مِنهُ بريءٌ، وهوَ لِلّذي أَشْرَكَ." » [٨]

وعن أبي بن كعبٍ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قالَ: « بَشِّرْ هذه الأمَّةَ بالسّناءِ والرِّفعةِ والتمكينِ في الأرضِ؛ فَمَن عَمِلَ مِنهُمْ عَمَلَ الآخِرةِ للدنيا، لَمْ يَكُنْ لهُ في الآخِرةِ مِنْ نصيب. » [٩]

المطلب الثاني: الإيمان بالفكرة التي يراد ترجمتها، والحرص على نقلها كوسيلة دعوية

عندما يقوم المترجم المسلم بترجمة نص شرعي إلى لغة أعجمية، فيجب أن يضع نصب عينيه إن هذه الترجمة عمل دعوي تعليمي يهدف إلى نقل المادة الشرعية بأمانة ولياقة إلى اللغة الأعجمية، وذلك لتوضيحها وبيانها لأهل تلك اللغة، مما سيعينهم على فهم دين ربهم وإقامة شعائره. ولذا، فيُتوخى فيه ابتداءً أن يكون على قناعة تامة بالمادة التي ينقلها، مما يساعده ويحثه على أن يعرضها عرضاً يصل إلى قلوب السامعين والقارئين. ومن إن أراد أن يقنع غيره بفكرة ما ينبغي أن يكون أكثر اقتناعاً بها أصلاً. وكما قيل: "ما خرج من القلب وقع في القلب." وقيل: "كل إناء بما فيه ينضح."

المطلب الثالث: تجنب التوجه المادي التجاري

من المعروف والمسلم به أن المترجم للنصوص الشرعية، كغيره من البشر، يحتاج مقابل وقته وجهده إلى ما يقيم أوده ويغنيه عن الناس. ولكن هذا لا يجوز أبداً أن يكون مبرراً لجعل الربح المادي والتفوق التجاري الهدف الأول والأهم من الترجمة، مما يفسد عندئذ نيته ويحبط عمله.

---

[٤] العصر ١-٣.

[٥] التوبة ١٢٢.

[٦] أخرجه الشيخان وغيرهما.

[٧] أخرجه النسائي، وحسنه الألباني (الترغيب والترهيب ٩).

[٨] أخرجه ابن ماجه وابن خزيمة والبيهقي، وحسنه الألباني (الترغيب والترهيب ٤٩).

[٩] أخرجه أحمد وابن حبان وغيرهما، وصححه الألباني (الترغيب والترهيب ٢٨).

فعلى العامل في الترجمة أن يحرص أشد الحرص على أن يكون عمله خالصاً لله تعالى، وأن يوقن أن التعويض المادي على عمله وجهده هو تحصيل حاصل يأتيه به الله إن شاء ومتى شاء، وهو الرزاق الكريم، كما روى أنسٌ وزيدٌ ابنُ ثابتٍ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قالَ: «من كانت الآخرةُ همَّه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همَّه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شملَه، و لم يأته من الدنيا إلا ما قدِّر له.» [10]

وهذا التوجه الصحيح يبعد عن عمل المترجم الدعويِّ الطيبِ الكثيرَ من التبذل والإسفاف الذي نراه في عامة الترجمات، فنرى الكثير من المترجمين والمترجمات يتخذون الترجمة ذريعة للكسب المادي المحض، دون أي التفات إلى المكسب الأجل والأسمى عند الله ﷻ، وبعضهم لا يقيم أياً من شعائر الدين، وبعضهم ليس بمسلم أصلاً.

المطلب الرابع: تجنب إتخام المكتبة الغربية بترجمات لا داعي لها

نستخلص مما سبق أن على المترجمين والناشرين الحرص على تقديم المادة الشرعية التي يغلب على ظنهم نفعها الأكيد للقارئ الأعجمي. وقد سبب الإخلال بهذا الأمر تخمة وتضخماً غير صحي في المكتبة الغربية، بحيث يحتار القارئ العادي فيما يطلبه ويقتنيه لاختلاط الغث بالسمين.

وتحت هذا المعنى، ينبغي تجنب ما يلي:

أ) الخروج بترجمة كتاب سبقت ترجمته، إلا أن تكون الترجمة الجديدة متميزة بوضوح من حيث قوة الترجمة وحسن العرض وغيرها من الأمور التي تزيد في نفع الكتاب. وعلى سبيل المثال، هناك تكرار في الترجمات الإنكليزية لـــ "القصص النبوي لابن كثير"، و"الطب النبوي لابن القيم" وغيرهما، وأكثر تلك الترجمات تتساوى في الضعف اللغوي وعدم تحقيق وتصحيح المادة المترجمة.

ب) ترجمة مقال أو فصل من كتاب ثم إخراجه ككتاب مستقل (بعد حشوه بالمقدمات والملحقات)، إلا أن يكون هناك نفع محقق لذاك الفصل بعينه.

ج) حرص بعض دور النشر على الإكثار من نشر الكتب الشرعية المترجمة، واضعين نصب أعينهم حداً أدنى (كوتا) يجب إصداره شهرياً أو دورياً، وواضعين بذلك للصحة والدقة والنفع مترلة ثانوية في حسابهم.

---

[10] أخرجه الترمذي وابن ماجه وغيرهما، وصححه الألباني (الصحيحة ٩٤٩-٩٥٠).

المبحث الثاني: الخبرة بالواقع الدعوي

المطلب الأول: أهمية الخبرة بالواقع

لا بد للباحث أن يكون ذا اطلاع على الواقع الذي يجري فيه بحثه، فلا يصلح أن يأخذ بحثاً وُضع لواقع آخر فيطبقه بحذافيره على واقعه، وذلك لأن الظروف والعوامل والمؤثرات تتفاوت من واقع لآخر. فلو انتقل خياط من مناخ بارد إلى مناخ حار لم يناسب أن يخيط الملابس السميكة لأهل موقعه الجديد، وإنما ينبغي أن يطوع خبرته السابقة ليقوم بصنع ما يلائم احتياجاتهم.

ولذا، فقد كانت رسالات الرسل ﷺ نابعة من صميم أحوال قومهم. فعلى سبيل المثال، لم يخاطب شعيب ﵇ قومه بأن نهاهم عن اتيان الرجال كما فعل لوط ﵇، وذلك لعدم استفحال تلك الفاحشة في قومه.

المطلب الثاني: الاعتدال في النظر للواقع

لا ينبغي للباحث أن يفرط في نظرته للواقع، بحيث يرفض كل ما يأتي من خارج واقعه. فكثير من الأسس والمبادئ المستوردة من واقع آخر يمكن تطويعها لتتلاءم مع الواقع الجديد. بل إن من المبادئ والأسس ما لا يمكن التخلي عنه في أي واقع كان. وفي مثال الخياط أعلاه، فإن الملابس التي يصنعها لا بد أن تستر العورة في كل مناخ.

وفي ديننا الحنيف من العقائد والأصول ما لا يجوز التنازل عنه في أي واقع، كما قال ربنا ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَـٰهَ إِلاَّ أَنَاْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [11]

فكانت رسالات الرسل، رغم ما بينها من تفاوت، متحدة متواطئة على الدعوة إلى إفراد الله بالعبادة كأصل أول فيها جميعاً.

المطلب الثالث: المادة الدعوية تتطلب خبرة بالواقع الدعوي

يُتوخى فيمن يخرج المادة الدعوية للأعاجم في بلد ما أن يكون على خبرة بواقعهم واحتياجاتهم والمشاكل والعقبات التي تواجههم في واقعهم. وهذا لا يكون إلا فيمن خاض معترك ذلك البلد لفترة طويلة، أو ممن نقلت إليه أحواله بصورة دقيقة أكيدة ممن شهدها.

ومن خبر الواقع أمكنه أن يوجه دعوته بحيث تعالج واقع ذلك البلد خاصة: فأما الأصول، فيقوم بعرضها عرضاً يتماشى مع الأساليب المتبعة والنافعة هناك؛ وأما الفروع، فيقوم باختيار المادة المناسبة لأهل ذلك البلد.

ولا بد من الإشارة إلى أن الاطلاع على واقع كثير من البلاد قد أصبح سهلاً بسبب الانفتاح الإعلامي الكبير بواسطة التلفاز والشبكة العنكبوتية والصحف والمجلات وغيرها (ولكن، ليس الخبر كالعيان). ولهذا، فإن الواقع الدعوي قد أصبحت فيه عوامل مشتركة بين كثير من البلاد الغربية، مما يساعد على توحيد المادة الدعوية الوجهة إليهم إلى درجة كبيرة، مع الإبقاء على المادة التي تعالج ما تتميز به آحاد البلاد.

---

[11] الأنبياء ٢٥.

المطلب الرابع: معرفة الأولويات والتركيز على المادة التي تكثر الحاجة إليها

إن التراث الشرعي المتوفر باللغة العربية هو من الضخامة بحيث يكاد يستحيل ترجمته برمته إلى غيرها من اللغات. فعلى المترجمين عامة، ومترجمي السنة والسيرة خاصة، أن يسعوا إلى ترجمة ما يغلب على الظن نفعه الأفضل والأعمّ لأبناء اللغة الأعجمية، بناء على الخبرة بواقعهم الذي سبق الكلام فيه. وكما قد قيل:

العلمُ إنْ طلبتَهُ كثيرٌ والعُمرُ عنْ تحصيلِهِ قَصيرُ فَقَدِّمِ الأهمَّ مِنهُ فالأهَمّْ

والأصل في المادة العلمية الشرعية أن توجه بلسان القوم المخاطبين، وأن تعالج احتياجاتهم ومشاكلهم الأهم والأكثر ذيوعاً. لذلك، فعلى المترجمين والناشرين للسنة أن يوجهوا جهودهم أولاً إلى ترسيخ أسس العقيدة والأخلاق، وإلى عرض مبسط سهل التناول لكافة العلوم الشرعية، بما في ذلك القرآن وعلومه، والفقه وأصوله، والحديث وأصوله.

المطلب الخامس: عدم إعطاء كتب التراث وكتب كبار العلماء أولوية مصطنعة

بناءً على ما سبق، فإن انتقاء المادة التي تترجم لا ينبغي أن يعتمد فقط على شهرة المؤلِّف أو المؤلَّف في العربية. فكم من كتب لعلماء مشاهير أنفقت الأموال لترجمتها وإخراجها وطباعتها، ثم أصبحت من جملة ما تزين به الرفوف، ولا يقرأها إلا القلة القليلة، وهي الفئة التي يتوخى فيها – على كل حال – أن تستطيع قراءة تلك الكتب بلغتها العربية الأصلية. فما فائدة ترجمة سفرٍ ضخم كـــ "سير أعلام النبلاء"، مثلاً، علماً بأن من يحتاجه لا يقنع إلا بالرجوع إلى الأصل العربي، وعلماً بأن هناك مادة كثيرة جداً هي أولى بالترجمة منه؟

ولكم كلَّمَنا بعضُ أهل العلم وعرضوا علينا (بنوع من السذاجة) ترجمة بعض ما كتبوه بالعربية لظنهم أن ما صلح للناطقين بها لا بد أن يصلح لمن عداهم – وليس الأمر كذلك كما سبق بيانه.

فالأصل في ما يكتب للأعاجم أن يصنَّف ابتداءً بلغتهم، ويفصَّل وفق احتياجاتهم، مع جعل كتب التراث وكتب أهل العلم مراجع ومصادر يقتطف ويترجم منها حسب الحاجة.

المطلب السادس: مراعاة الأجواء السياسية والاجتماعية

يجب على المترجم والناشر للمادة الشرعية أن يراعي الأجواء السياسية والحساسيات الاجتماعية المنتشرة بين الغربيين، فيتجنب ما أمكن أن يعرض مادته بشكل يثير الحفائظ ويؤدي إلى مقاطعتها، بل ومنعها. ومثال ذلك، يحسن أن يستعمل البدائل التالية (شرط ألا يخل استعمالها بالمعنى المقصود):

العبارة	المعنى أو التحفظ	البديل	معناه
Jihad, fighting for Allah's cause	الجهاد (الحرب القدسة)	striving for Allah's cause	بذل الجهد لله
disbelievers, nonbelievers, kuffar	كفار (قسوة في الدعوة)	Arab pagan	المشركون العرب
disbelievers, nonbelievers, kuffar	كفار (قسوة في الدعوة)	non-Muslims	غير المسلمين
Man	رجل (تفضيل الرجل على المرأة)	human	بَشَرِيّ

المبحث الثالث: أهلية مترجم المادة الشرعية

إن الترجمة الصحيحة السليمة للمادة الشرعية لا يمكن أن تؤدى إلا من قبل بطالب علم يتصف بصفات أساسية، أهمها الإخلاص واحتساب الأجر من الله، وقد سبق الكلام فيه آنفاً. ويتبع الإخلاصَ الشروطُ التالية:

المطلب الأول: الاستقامة الدينية والخُلقية

إن نقل المادة الدعوية إلى لغة أخرى يستدعي في المترجم الاستقامة في دينه وخُلُقه، وخاصة فيما يلي:

أ) صفاء عقيدته وسلامتها من أصناف الشرك، ومن معتقدات أهل الضلال، كالتعطيل والتمثيل والإرجاء والحلول، ومن البدع العقدية، كالصوفية والعصرانية والعلمانية والقرآنية (وهي دعوى الاكتفاء بالقرآن ونبذ السنة). ومن شاب عقيدته انحراف ظهر أثره في قليل أو كثير من ترجماته. ومن طالع ترجمة محمد أسد لمعاني القرآن المعروفة بـــ (Message of the Qur'an)، وجدها تستند بقوة إلى تفسير الزمخشري، وهي لذلك –رغم بلاغتها ومتانتها اللغوية– تزخم بالتعطيل لآيات الله ونفي المعجزات وغيرها من الطامات.

ب) صفاء منهجه واستقامته على طريقة السلف ﷺ وهدي علماء الأمة الأبرار ﷺ، فيكون محباً للسنة خاضعاً لها، مبغضاً للبدعة مجانباً لها، خالياً من أهواء التكفير والخروج والحزبية. وكما هو الشأن في العقيدة، فإن الانحراف المنهجي يظهر بوضوح في العمل المترجم. ومثاله أن أحد مشاهير الدعاة المعاصرين باللغة الإنكليزية أخرج سلسلة من المحاضرات بعنوان: قصص من السنة (Stories from the Sunnah)، واغتنم الفرصة فيها ليبث منهجة الداعي إلى التكفير والتخريب.

ج) عندما تتوفر في المترجم الأمور السابقة، يصبح أرجى للصدق والأمانة، وأبعدَ عن الكذب والخيانة، فيكون نزيهاً في نقل العلم، حريصاً على ألا يتقول على الله ﷻ أو رسوله ﷺ أو الصحابة ﷺ أو من دونهم من الناس شيئاً لم يقولوه أو رأياً لم يقصدوه. وهذا الأمر مهم خاصة في موطن الترجمة الذي يقل فيه المراجعون والمدققون والمتعقبون بحيث يمكن ادعاء بعض ما ليس له أساس، دون خوف من رقيب أو ناقد – ولكن ليس إلا لأجل قريب، إذ أن وعد الله بحفظ دينه لمتحقق، لا تحجبه لغة أو إقليم (لقوله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَـٰفِظُونَ۝﴾ [١٢]).

المطلب الثاني: الرسوخ في اللغة العربية

يشترط في المترجم الرسوخ وطول الباع في اللغة العربية وقواعدها وبلاغتها. فكم من مترجم تفوته بعض المعاني المهمة بسبب ضعفه اللغوي. وعلى سبيل المثال، رأينا بعض من المترجمين من أصول غير عربية يترجمون عبارة على معنىً لا أصل له، وذلك لالتباس بين كلمتين لهما أصل مشترك. فمن ذلك أن أمريكي مسلم قام بشرح الأربعين النووية استناداً إلى "جامع العلوم والحكم"، فنراه يكثر الخلط بين الكلمات ذات الأصل المشترك، وهاك بعض الأمثلة:

طرف الحديث	الكلمة المترجمة	كيف ترجمها	معنى ترجمته	العبارة الملتبس فيها	الصواب
عجباً لأمر المؤمن	سراء	something joyful	الأمر المفرح	سرور	facility

---

[١٢] الحجر ٩.

الصواب	العبارة الملتبس فيها	معنى ترجمته	كيف ترجمها	الكلمة المترجمة	طرف الحديث
of greatest reward	أشدها تزكية	أكثرها تطهيراً	most purifying	أزكاها	ألا أخبركم بخير أعمالكم
each will be eased (toward his decree)	اليسر	الأعمال يسيرة على كل الناس	deeds are made easy for everyone	ميسر	اعملوا، فكل ميسر
does not know what succeeded him after he left	"خلف" و "بعد"	لا يعلم ما خلَّف وراءه	does not know what he left behind after that	خلفه، بعده	لا يعلمُ ما خَلَفَه بعدَه
forgives or punishes for a sin	يأخذ به (لعله لم يفهمها)	يغفر الذنوب	forgives sins	يغفر الذنب ويأخذ به	إن عبداً أذنب فقال

المطلب الثالث: الرسوخ في اللغة المترجم إليها

يشترط في المترجم الضلاعة في اللغة التي يترجم إليها، وإلا لم يتمكن من وضع الفكرة التي يترجمها في قالب يصل إلى أذهان الأعاجم وقلوبهم. ولو أحس أهل لغة أن كتاباً ما غريبٌ عن لغتهم في أسلوبه وتعابيره زهدوا في اقتنائه وقراءته، و لم يحملوه محمل الجِد. لذا نوصي من لم تكن اللغة المترجم إليها لغتهم الأم أن يوكلوا إلى بعض أهل تلك اللغة مراجعة ترجمتهم قبل إخراجها بالصورة النهائية.

ونأخذ مثالاً من أحد دعاة السنة المعرفين الذي ترجم وصنف بالإنكليزية عدداً جيداً من الكتب والكتيبات، وهي كلها على عقيدة طيبة ومنهج قويم، ولكن ضعفها ظاهر بيِّن في الترجمة وفي صياغة الجملة باللغة الإنكليزية. كتب في ترجمته لقصة سلمان الفارسي رضي الله عنه:

His time was still consumed to his master. He missed two battles with the Pagans of Arabia. The Prophet (PBUH) told him: ‘Write O Salman (i.e., to free yourself from your master).’ Salaman obeyed and wrote for his freedom.

وهذا الكلام شديد الضعف، وبعضه يستحيل فهمه على القارئ ، فهو يعني ما يلي:

وكان وقته ما زال مستهلكاً إلى سيده، وقد فاته معركتان بجانب المشركين العرب. والرسول (صلعم) أخبره: "اكتب يا سلمان (أي لتحرر نفسك من سيدك)." فأطاع سليمان وكتب لأجل حريته."

والأصوب ترجمة هذا النص كما يلي:

His time was fully committed to his master, so he missed two battles against the Pagans of Arabia. The Prophet (ﷺ) advised him: ‘Request (from your master) an agreement for freedom, O Salman.’ Salaman obeyed this, and secured an agreement for his freedom.

وفي ترجمة لرسالة "الإيمان، حقيقته، علاماته، ثمراته" للدكتور عبد الله المطلق، ورد حديثٌ أن رسول الله سأل حارث (أو عوف) بن مالك كيف أصبح، فأجابه أنه أصبح مؤمناً، فقال النبي: "إن لكل حق (أو قول) حقيقة، فما

حقيقة ذلك؟" فقال: "أصبحت قد عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، ولكأنما أنظر إلى عرش ربي وقد أبرز للحساب، ولكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة، ولكأني أسمع عواء أهل النار." فقال النبي: "عبد نوّر الله قلبه بالإيمان، إذا عرفت فالزم."[١٣] وجاءت ترجمة هذا الحديث كالتالي:

The apostle of God met Haarithah al-Ansary, May God be Pleased with him, and greeted him saying: “How are you Haarithah?” Harrithah answered: “I have become a true Muslim.” The Prophet, Peace be upon Him, said: “Consider what you say, because every utterance has a reality (or truth, which lies behind it). So, what is the true (state) of your faith?” Al-Haarithah answered: “O, Apostle of Allah! My soul has become averse to this world, so I stay awake by night and thirst by day, as I had been looking at my Lord’s Throne standing out, while the people of paradise visit each other therein, and the people of Hell-Fire cry out to each other therein. The Prophet, Peace be upon Him, said: “You have known (the truth); and thus, a subject whose heart God Has lit up with faith has been bound (by that knowledge).

فنرى في هذه الترجمة أخطاء تكاد تزيد على عدد كلماتها، منها ما يلي:

الخطأ	بيانه	التصويب
apostle	ابتداء العلم بحرف مصغر	Apostle
apostle	تعني أحد حواريي عيسى	Prophet
God	يغلب عليها معنى التثليث	Allah
Haarithah	مغايرة لاسم الصحابي	Haarith
May	ابتداء الكلمة بحرف مكبر	may
Pleased	ابتداء الكلمة بحرف مكبر	pleased
Muslim	النص الأصلي يذكر الإيمان	believer
true	ليست في النص الأصلي	(true)
Harrithah	خطأ في تهجئة الكلمة	Haarithah
Peace	ابتداء الكلمة بحرف مكبر	peace
Him	تكبير الحرف الأول لغير الجلالة	him
Consider what you say,	ليست في النصوص الأصلية، ولعلها من إدراج المؤلف	--
utterance	يفضل استعمال الكلمة الأبسط	statement
every utterance has a reality (or truth, which lies behind it)	فيها تفصيل غير مفيد	every statement (or truth) has a reality
So, what is the true (state) of your faith?	مغايرة الأصل	So, how do you justify your statement?
Al-Haarithah	زيادة "ال" تشتت القارئ	Haarithah
awake by night	تحتاج توضيحاً بالنسبة للقيام	awake by night (for prayer)
thirst	تعني ظمأ وليس ظمآن	thirsty

[١٣] وهو في مصنف ابن أبي شيبة، وضعفه الألباني في "الإيمان" رقم ١١٥ بقوله: معضل، فإن عبيداً من الطبقة السادسة التي لم تلق أحداً من الصحابة، وقد روي موصولاً عن الحارث نفسه رواه عبد بن حميد والطبراني وأبو نعيم وغيرهم بسند ضعيف.

التصويب	بيانه	الخطأ
thirsty by day (from fasting)	تحتاج توضيحاً بالنسبة للصيام	thirst by day
. It is as though	يجب البدء بجملة مستقلة	, as
I view	خطأ في زمن الفعل والتركيب	I had been looking
my Lord's Throne, brought out for the Judgment	ضعف عبارة ونقص في المعنى	my Lord's Throne standing out
; and as though I see	لا معنى لربطها بالعرش	, while
inhabitants of paradise inhabitants of the Fire	يفضل استعمال كلمة تعني "سكان" على كلمة تعني "أناس"	people of paradise people of Hell-Fire
; and as though I hear the wailing of the inhabitants of the Fire	عدة نقاط ضعف	, and the people of Hell-Fire cry out to each other therein
peace be upon him	كما سبق	Peace be upon Him
(You are) a servant (of Allah) that Allah illuminated his heart with faith.	عدة نقاط ضعف	You have known (the truth); and thus, a subject whose heart God Has lit up with faith
Since you know (the truth), adhere (to it).	خطأ في التعبير	has been bound (by that knowledge)

المطلب الرابع: معرفة المصطلحات الشرعية

يشترط في المترجم معرفة المصطلحات الشرعية الصحيحة في اللغة الأعجمية، والتمييز بين ما يمكن ترجمته من المصطلحات وما يفضل بقاؤه على أصله العربي بطريقة النقحرة (transliteration). ومن المهم جداً أن يكون على حذر من استعمال المصطلحات ذات المعاني الدينية الخاصة عند غير المسلمين، فيسبب استعماله لها لبساً عند قرائه. ومثال ذلك أن كلمة (God) تحمل عند عامة الغربيين بعض معنى التثليث (لغلبة النصرانية عندهم)، فيفضل الاستعاضة عنها بكلمة (Allah) بعد تعريفها تعريفاً واضحاً.

وهناك من التعابير والمصطلحات ما يتعارض مع القيم والمفاهيم الشرعية، وإن لم يكن له أصل ديني عند غير المسلمين، فيجب أيضاً اجتنابه ولزوم التعابير الشرعية الأصلية. ومثاله أن أكثر المترجمين والمؤلفين بالإنكليزية يعبرون عن "آية" من القرآن بكلمة (verse)، وهي تعني في الأصل "بيتاً من الشِّعر، فتشير ضمناً إلى أن القرآن مركب من الشِّعر، وهذا خطأٌ ومعارض لتصريح الله ﷻ بخلافه، فلذا يجب الاستعاضة عنها بلفظة (ayah) بعد تعريفها للقراء.

وكمثال لسوء استعمال المصطلحات الشرعية، نستعرض ترجمة من كتاب "معنى لا إله إلا الله" تأليف العلامة صالح الفوزان، وهي من منشورات جامعة الإمام. أول ما يلفت الانتباه خطأ واضح في عنوان الكتاب، حيث كانت ترجمته: (There Is No Divine But Allah)، وكلمة (divine) لا تعني إله، وإنما هي صفة مشتقة من (divinity) التي تعني المقام الإلهي أو القدسية، وخاصة فيما يتعلق بالتثليث. فأصبح معنى العبارة: "ليس هناك (الموصوف مفقود) قدسي إلا الله"، ولعل المترجم أراد (There Is No Divine Being But Allah). وقد تكرر هذا الخطأ كثيراً في طيات الكتاب.

وقد ورد في تلك الترجمة مراراً استعمال كلمة (Godhead) لتعبر عن الإلهية، مع أن المعنى المتبادر فوراً لهذه الكلمة هو التثليث، وكان الأحرى استعمال كلمة (Godhood) بعد تعريفها بدقة، أو عبارة (right of worship)، أي "استحقاق العبادة".

وإضافة لما سبق، تزخم تلك الترجمة بأخطاء فاحشة، منها ما يلي:

الخطأ	بيانه	التصويب
idol other than Allah	تكررت مراراً، وتعني: "صنم غير الله"، فيفهم القارئ أن الله صنم! وكان قصد المترجم: "إله غير الله"، فأخطأ السبيل.	gods besides Allah
we must reject civil laws	"يجب علينا أن نرفض القوانين المدنية"، وهذه دعوة واضحة إلى التفلت والتخريب	We should reject man-made laws (if they contradict Allah's Law)
We should also refuse to resort to Positive Law	"علينا أيضاً أن نرفض الرجوع إلى القانون الموجب"، والمقصد غير مفهوم!	--
If after investigation it is discovered that he opposes Islam, he must be killed.	"فإن تبين بعد التحقق أنه يعارض الإسلام، فلا بد من قتله"، وهذا بظاهره دعوة للوحشية والإرغام في الدين، فلزم إشفاعه بشرح واف.	If a person claims to be Muslim, but is then found (by the Islamic ruler) to be against Islam (i.e., causing harm to Islam and the Muslims), the ruler may issue a command to kill him.

المطلب الخامس: الدقة في الترجمة، والتمييز بين الترجمة الحرفية والحرة

يشترط في الترجمة أن تكون دقيقة، بحيث لا يفوتها شيء من المعاني الأصلية، ولا تزيد عليها ما ليس منها. وقد أشرنا أعلاه أن هذا من الأمانة في نقل العلم. وهذا يعني أن الأصل في الترجمة أن تكون حرفية ما أمكن.

ولكن من يخوض في مجال الترجمة يجد أن التزام الترجمة الحرفية هو أمر شبه مستحيل، لأسباب منها:

أ) اختلاف التركيب اللغوي بين العربية واللغة المترجم إليها، بحيث أن الترجمة الحرفية تعطي معنىً ضعيفاً أو تركيباً غير سليم. ومثاله أن الجملة الإسمية لا وجود لها بالإنكليزية، ولو أردنا أن نترجم "الله رؤوف" لم يصح أن نقول: (Allah kind)، بل لا بد من إدخال الفعل على هذه الجملة، فتصبح: (Allah is kind)، ومعناها الحرفي: "الله يكون رؤوفاً".

ب) اختلاف الأسلوب البلاغي بين اللغتين، ومثاله أن الله ﷻ يستعمل الزمن الماضي في الكلام عن أمور مستقبلة كيوم القيامة، وترجمة ذلك حرفياً قد يشوش القارئ الأعجمي الذي لم يعهد مثل هذا الأسلوب في لغته. وننظر إلى قوله ﷻ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً ﴾ [١٤]، فالترجمة الصحيحة لهذه الآية هي كالتالي: (We will advance upon whatever deeds they did and turn them into scattered dust.)

ومعناها: "سنقدم إلى ما عملوه من عمل ونجعله هباء منثوراً"

---

[١٤] الفرقان ٢٣.

ج) كثيراً ما تتضمن الألفاظ العربية معاني شرعية أو حضارية تحتاج الترجمة إلى بيانها لئلاً تفقد بعض المعنى الأصلي. ومثاله أن قوله ﷻ: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ [١٥] يعني ضمناً أن سبق أولئك السابقين هو في الإسلام والإيمان وليس بمجرد التسلسل الزمني، فيحسن بيان ذلك في الترجمة بأن تلحق عبارة "السابقون" بـ (in faith)، أي: "السابقون في الإيمان".

وهذا يضطر المترجم إلى بعض التحرر من النص الأصلي. ولكن عليه أن يضبط هذا التحرر بالعلم والتقوى، فيبذل جهده للمحافظة على ما يعلمه من مقصود النص الأصلي حين يترجمه إلى اللغة الأعجمية. وفيما يلي مثال من ترجمة هذا الباحث للرسالة التبوكية لابن القيم، حيث ترجم عبارة لطلق بن حبيب كالتالي:

النص الأصلي: كن مع الحقِّ بلا خلق، ومع الخلق بلا نفس. ومن لم يكن كذلك لم يزل في تخبيط، و لم يزل أمره فرطاً.

الترجمة: In your relationship with al-Haqq (i.e., the Truth; one of Allah’s names), let there be none of the creation (i.e., let not your attachment to the people come between you and Allah); and in your relationship with the people, let there be no part for yourself (i.e., do not allow selfishness to come between you and the people). A person who does not do this will be in continuous confusion, and his affairs will always be at loss.

معنى الترجمة: لا يكونن في علاقتك بالحق (وهو أحد أسماء الله) أحد من الخلق (أي لا تجعل ارتباطك بالناس يؤثر في علاقتك بالله)، ولا يكونن في علاقتك بالناس نصيب لنفسك (أي لا تدع الأنانية تؤثر في علاقتك بالناس). والشخص الذي لا يفعل هذا سيبقى في تخبط مستمر، وستكون أموره دائماً إلى ضياع.

ومن الواضح استحالة ترجمة النص الأصلي هنا ترجمة حرفية، وإلا لم يكن للترجمة معنىً أبداً عند القاريء، فلزم التحرر في الترجمة بعض الشيء، كما لزم إضافة عدد من التوضيحات (وهي في أسفل الصفحة في الأصل بسبب طولها). ولعله من الواضع أيضاً أن النص الأصلي قد احتفظ بمعناه وروحه حتى بعد ترجمته مرتين.

[١٥] التوبة ١٠٠.

المبحث الرابع: ضوابط وتوجيهات مهمة

المطلب الأول: تصفية المادة المترجمة من الأخبار الضعيفة والآراء المتهافتة

إن تصفية السنة والسيرة من الأحاديث والأخبار الضعيفة هو واجب حتمي على علماء السنة ودعاتها والناشرين لها، وهو من النصيحة الواجبة للأمة، وذلك أنَّ النبي ﷺ حض عليه وشدد النكير على من يتجاوزه، كما في قوله ﷺ: «من كذب عليَّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار.»[١٦]

ولعل هذا الواجب أهم وآكد على من يقوم بنقل السنة إلى الأعاجم، وذلك لأسباب، منها:

أ) يصعب على عامة الأعاجم تمييز الصحيح من الضعيف، وليس لديهم من المراجع ما يكفي لمثل هذا التمييز. فيلزَم المترجم للسنة أن يجتهد في بيان صحة أو ضعف الآثار الواردة فيما يترجمه.

ب) ينبني على الأحاديث والآثار أمور عقدية وفقهية وسلوكية، فإن كانت ضعيفة أدت إلى خلل في تصور وسلوك بعض القراء، وهذا مما يحمل وزره المترجم (إضافة إلى المؤلف الأصلي).

ج) إن كثيراً من مثقفي الأعاجم المسلمين أصبحوا لا يقبلون حديثاً إلا إن شفع به الحكم بالصحة من علماء بالحديث معروفين.

وهذا لا يستلزم بالضرورة أن تكون لدى المترجم القدرة الذاتية على الحكم على الآثار وبيان صحيحها من سقيمها، وإنما يكفيه في ذلك أن يرجع إلى حكم العلماء المعتبرين في ذاك المضمار، مع بيان حكمهم للقاريء في الحواشي، وهذا يزيد في ثقة القراء بالمادة المترجمة ويقوي ارتباطهم بعلماء السنة.

وقد يكون عند المصنِّف الأصلي للمادة المترجمة تهاون أو غفلة في تصفية السنة من بعض الآثار الضعيفة، ولكن هذا لا يعطي المترجم أو الناشر العذر للتهاون أيضاً. ومثاله أنه في ترجمة حديث حارث بن مالك الذي سبقت مناقشته، أشار المترجم في الحاشية إلى ضعفه، وأنه قد قام الحافظ العراقي بتضعيف طرقه.

المطلب الثاني: الاستفادة من أعمال المستشرقين بحذر

هنالك في بلاد الغرب، وبخاصة ألمانيا، وبريطانيا، وأمريكا، الكثير من الجامعات والمؤسسات التي تهتم بالدراسات الإسلامية، وعندها مراكز أبحاث وكليات ومكتبات لهذا الغرض، يقوم عليها أكاديميون متخصصون إلى درجة رفيعة. وأولئك – وأكثرهم غير مسلمين – لديهم من الدأب والجدية في العمل ما يُفتقد عند أكثر أبناء المسلمين وباحثيهم. وتقوم تلك المراكز (الاستشراقية) بإخراج العديد من المؤلفات وأوراق البحث التي تتجلى فيها الدقة والضبط. وكثير من تلك المؤلفات تشكل مراجع مهمة للباحثين المسلمين، كالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث الذي كان من أهم المراجع للتنقيب عن الأحاديث قبل ظهور الحاسب الآلي.

ومن كتب علماء السنة التي تفرد أولئك المستشرقون بترجمتها للإنكليزية (وإن كان غير كامل): كتاب "اقتضاء الصراط المستقيم" لابن تيمية، مع شروحات وتعليقات، وصدر بعنوان (Ibn Taymiya’s Struggle against Popular Religion)، مترجمه اسمه محمد عمر ميمون (لعلها: مأمون)، من جامعة وسكونسن، وراجعه مستشرقان

[١٦] هذا حديث متواتر جداً، أخرجه الشيخان وغيرهما عن جمع كبير من الصحابة.

أوروبيان (ليو لايندكر وجاك واردنبرغ)، ورغم أن المترجم يحمل اسماً مسلماً، فإن مراجع الكتاب ومراجعيه وناشريه كلهم غير مسلمين. ولغة الكتاب على درجة عالية من السلاسة والضبط، والترجمة دقيقة وأمينة.

فنرى بالنسبة لهذا الكتاب وأمثاله، أنه يمكن الاستفادة منها ، خاصة في تعلم أساليب الترجمة والبحث والعرض، وكذلك في ترجمة مقاطع أو أجزاء محددة، مع الحذر من نقل بعض الفكر الاستشراقي المعادي للإسلام فيها، ومن الهفوات في الترجمة التي تصدر عن غير العرب كما أشرنا آنفاً.

المطلب الثالث: حسن العرض والإخراج

لا شك أن طريقة عرض سلعة ما لها تأثير كبير على الرغبة فيها وبيعها وانتشارها. وهذا ينطبق بشكل أكيد على الكتب والمجلات وغيرها من المنشورات. فلا يكفي في الكتاب أن يكون لمصنِّفٍ شهير، أو أن يحوي مادة مهمة، لكي يصبح منتشراً مقبولاً بين الناس. بل لا بد من عرضه وإخراجه بشكل لائق حسن جذاب ليشد انتباه الناس.

ومن المعلوم أن الغربيين قد أَلِفوا حسن الإخراج للكتب، فلا بد أن يعرضوا عن أي كتاب لا يتماشى مع ما أَلِفوه. لذا، فإن حسن إخراج الكتب المترجمة هو جزء من الدعوة المطلوبة من المؤلف و المترجم والناشر.

ومن الأمور التي تساعد على حسن تلقي الكتاب وتقبله، وعلى زيادة الانتفاع به، ما يلي:

أ) استعمال الرسوم البيانية ما أمكن، وكما قد قيل: "صورة تغني عن ألف كلمة".

ب) استعمال جداول وملخصات لتركيز المعلومات وتسهيل تذكرها وتدارسها بين المسلمين الأعاجم.

ج) وضع قائمة محتويات موسعة، وفهارس تساعد على الرجوع بسرعة إلى مادة الكتاب.

د) الاعتناء بجمال الغلاف وجاذبيته، مع تعلقه الفني بمحتوى الكتاب.

هـــ) الحرص على جودة الورق، ونقاء الطباعة، وحسن التجليد.

المطلب الرابع: أمور مكملة تساعد على حسن العرض وزيادة النفع

هناك أمور أخرى تزيد في نفع المادة المترجمة، منها ما يلي:

أ) الإبقاء على النصوص العربية من القرآن والسنة وما تيسر من أقوال السلف. وهذا يساعد المتقدمين من القراء الأعاجم في تعلم العربية عن طريق المقابلة بين النصوص وبين ترجمتها، كما يساعد المحاضرين والخطباء في تحضير دروسهم وإلقائها.

ب) الاجتهاد في تشكيل النصوص تشكيلاً تاماً، وهذا أمر يطلبه القراء الأعاجم بإلحاح، لأنه يساعدهم في تعلم القراءة.

ج) كتابة الكلمات المنقحرة بحروف مائلة (italics) ليسهل تمييزها، وإدراجها في فهرس للتعريفات في آخر الكتاب.

هذا آخر ما توصلت إليه، وأنا على عجالة من أمري، والله من وراء القصد، وهو ولي الأمر والتدبير، وهو حسبي ونعم الوكيل.

المدينة المنورة

السبت، ٢٩ شوال ١٤٢٨

خلاصة البحث

١. ترجمة السنة والسيرة هي عمل تعبدي يتطلب الإخلاص لله تعالى.
٢. السعي في الترجمة إلى ما يرضي الله، وليس إلى ما ينفع مادياً.
٣. اختيار المادة المترجمة وتوجيهها يتطلب خبرة بالواقع الدعوي والأجواء السياسية والاجتماعية.
٤. مراعاة الأولويات في انتقاء المادة المترجمة.
٥. يشترط في المترجم البارع أمور، منها: الاستقامة، والرسوخ في اللغتين.
٦. يجب على المترجم اجتناب الأخبار الضعيفة وما ينبني عليها من آراء وأعمال.
٧. يوصى المترجمون والناشرون بحسن عرض وإخراج المادة المترجمة.

ثبت بالمراجع

١. بحوث ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٣ هـ (٢٠٠٢ م).
٢. كيف تترجم؟!، محمد حسن يوسف، http://saaid.net/Doat/hasn/index.htm
٣. Commentary on the Forty Hadith of Al-Nawawi, Jamaal al-Din Zarabozo, Al-Basheer Publications, Colorado, USA, 1999.
٤. Faith, Its Reality, Signs and Fruits, Dr. Abdullah al-Mutlaq, Translated by Dr. Ahamd Kamal El-Din Abdel-Hamid, Imam Muhammad Bin Saud University, Riyadh 1411 (1990).
٥. Ibn Taymiya's Struggle against Popular Religion, with and Annotated Translation of Kitab iqtida as-sirat al-mustaqim mukhalafat ashab al-jahim, Muhammad Umar Memon, Mouton the Hague Publishers, Paris, 1975 (approx.)
٦. The Meaning of: There Is No Divine But Allah, Dr. Saleh al-Fouzan, Translated by Dr. Yusuf Babakr and Muhammad Khamis, Imam Muhammad Bin Saud University, Riyadh 1409 (1988).
٧. The Message of the Qur'an, Muhammad Asad, Dar Al-Andalus, Gibraltar, 1980.
٨. The Persian Salman, Dr. Saleh As-Saleh, Dar Al-Bukhari, Buraidah.
٩. The Spiritual Journey to Allah & His Messenger (Translation of ar-Risaalat-ut-Tabukiyyah), Muhammad al-Jibaly, al-Kitaab & as-Sunnah Publishing, 1428 (2007).